

نقد البُردة

عبد البديع السيّد صقر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نقد البردة

عبد البديع السيد صقر


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بردة المديح

المباركة

ويليها

القصيدة المضرية والقصيدة المحمدية

للإمام الكامل والعالم العامل

شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان
ص.ب: ٨٧٣٧

تنبيه

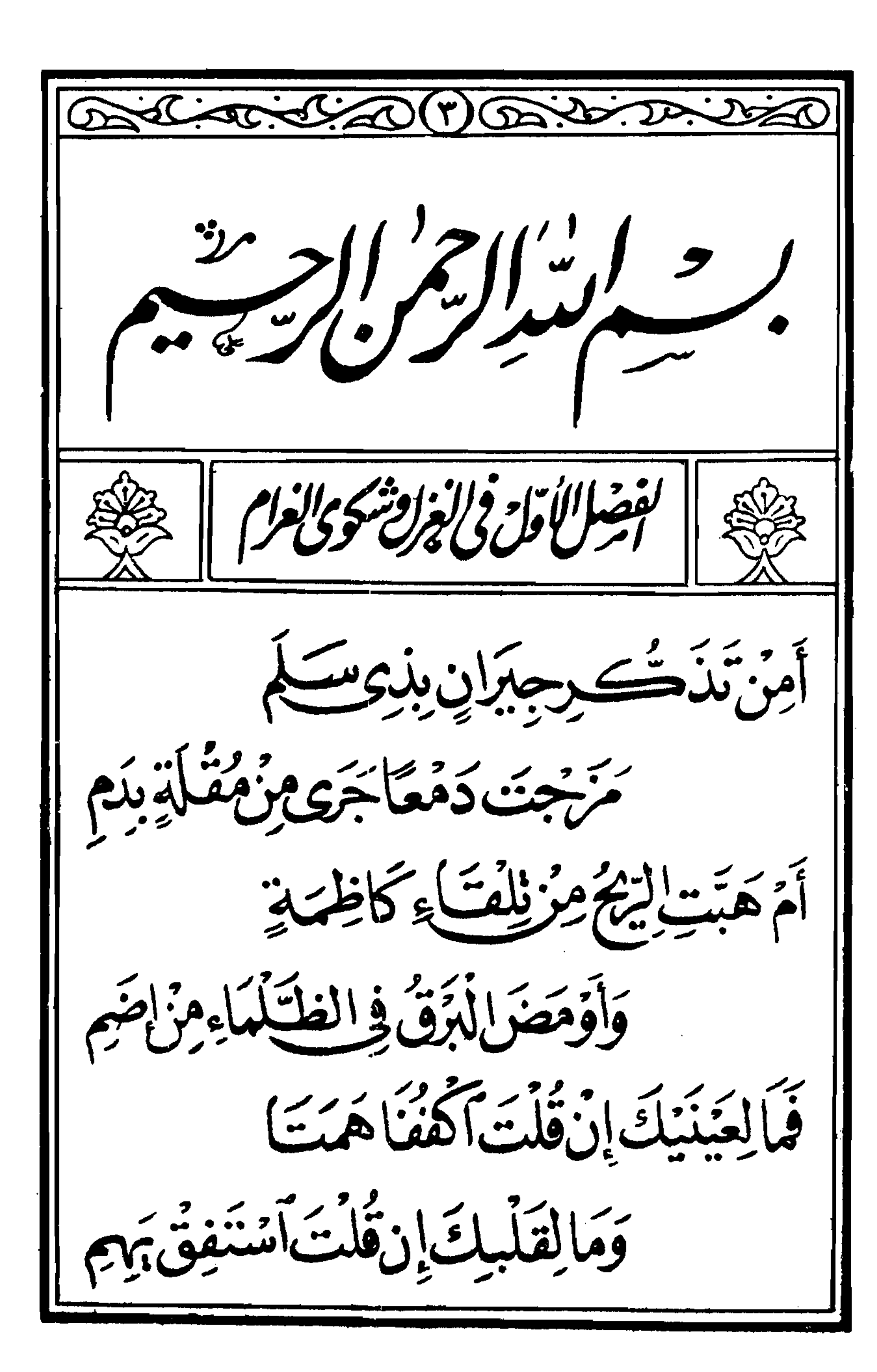
مَوْلَايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا
عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِمِ

هذا البيت ينبغي قراءته بعد كل بيت من أبيات هذه القصيدة الشريفة . وذلك لما يُروى أن الإمام الغزنوي كان يقرؤها كل ليلة ليرى النبي ﷺ في منامه فلم تتيسر له الرؤيا فشكا ذلك إلى شيخ كامل فقال له : إن لها شرطًا وهو أن تصلي بالصلاة التي كان يُصلي بها الإمام البوصيري رضي الله عنه على النبي ﷺ وهي قوله :

مولاي صلِّ وسلم دائمًا أبدًا ❊ على حبيبك خير الخلق كلهم

عَقِب كل بيتٍ من أبيات القصيدة ، وإن شق ذلك على القارئ فيكفي بترديده بعد كل فصل من فصولها . وحكمة اختيار هذا أن الإمام البوصيري رضي الله عنه أنشد هذه القصيدة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في منامه حتى أتى إلى قوله :

"فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ" ولم يستطع تكميل البيت فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ فقال رضي الله عنه : إني لم أوفق للمصراع الثاني فقال له عليه الصلاة والسلام قل : "وأنه خير خلق الله كلهم"



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول في الغزل وشكوى الغرام

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ
مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ
وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى على الناس حين من الدهر ضيعوا فيه كثيراً من معالم هذا الديـــن .

فمنذ جاءت هذه الرسالة الخاتمة والسهام مصوبة إليها ــ من أعدائها الخارجيين ، ومن التابعين الغافلين ..

والمسلم طيب القلب ؛ سريع التصديق ، يعطى الثقة لكلّ من ظهر عليه فضل علم أو إتقان عبادة ، أو روعة مظهر ومهابة . ومن خلال هذه الحقيقة راجت علوم ضارّة ، وارتفعت شخصيات غير صالحة ، وأغدقت ألقاب الفضيلة والولاية والحجية على أقوام لايستحقّونها وربما استحقوا نقيضها .

ومنذ ضاعت معالم الخلافة الراشدة آلت ولاية الأمر إلى طامع في دنيا ، أو حريص على سلطان ، أو عميل لأولئك ــ إلا من عصم الله وقليل ما هم . وحقائق الإسلام ــ تبعاً لذلك ــ لا تكاد تجد من يحكم لها أو يذود عنها بسلطان مانع .. فنشأت الفرق والجماعات ، وكثرت السبل واتبعها خلائق لا تحصى .

وهذه محاولة يسيرة ــ رجونا بها أن نقول كلمة حق تستند إلى الأصل الأصيل من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم .. لا نعبّر فيها عن رأى جماعة معينة ولا ارتباط بمذهب معيّن .

نسأل الله أن يتقبّل ... والحمد لله ربّ العالمين .

المؤلف

تصدير

الحمـد لله ، والـصلاة والسلام على سيّدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه . « ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لَدُنْك رحمةً إنّك أنت الوهّاب » .

هـذا كـلام في نـقد قصيدة البردة التى ألّفها الشيخ محمد البوصيرى حول ٦٨٠هـ الموافق ١٢٨٠ الميلادية في مدح رسول الله صلى الله علـيـه وسلم ، وقد دونت هذا البحث جواباً على سؤال وجّهه إليّ أحد الطلبة الجامعيين حيث دارت بيني وبينه المناقشة الآتية :

حوار مع طالب جامعى :

قال الفتى : ما رأيك في قصيدة الإمام البوصيرى التى تسمّى (البردة) ؟

قلت : جيّدة ــ ولكن عليها مآخذ شرعيّة .

قال الفتى : لكن الناس يحبّونها ويقرءونها في المساجد ولم نسمع اعتراضاً عليها .

قـلت : إن الناس يحبّون أشياء كثيرة ــ وإن كانت لا تنطبق على أصول الشرع .

قال : اضرب لي مثالاً لما تقول !

قـلت : خذ مثلاً المعلّقات السبع والعشر التى قالها فطاحل الشعـراء

في الجاهلية فإنها تحتوى على معان فاسدة ، فبعضهم يفتخر بالفاحشة و يصفها ، و بعضهم يفتخر بالظلم والعدوان إلى غير ذلك ، ومع ذلك فقد ظلّت معلّقة على جدران الكعبة سنين طو يلة ... ولما جاء الإسلام هدم الأفكار الجاهليّة لكن ظلّ العرب يرددونها وهي تدرس إلى الآن في المعاهد والجامعات وقد أعيد طبعها وشرحها مئات المرّات وأحياناً بإشراف بعض الحكومات .

وإن كثيرا من الأغاني والروايات الضارّة ترددها أجهزة الإعلام صباح مساء ، وهي تنطوي على ما لايجوز شرعاً ولا أدباً ولا ذوقاً ، وإذا جئت تعترض على مثل هذه الأشياء قيل لك إن فيها بعض الموعظة والحكمة ــ أو أنها من التحف الأدبيّة .

قال الفتى : ولماذا لم يتعرض العلماء لنقد قصائد البوصيرى لتوضيح ما عسى أن يكون فيها من مخالفات ؟

قلت : إن الدخول في هذا الأمر من الصعوبة بمكان لأسباب شتّى .

منها : أن كثيراً من الناس قد فتنوا بهذه القصيدة التى ترجمت إلى عدّة لغات عالميّة .. وصار بعض الناس يتعبّدون بتلاوتها كما يتعبّدون بتلاوة القرآن الكريم ، كما عَمِلَتْ لها بعض الدول مشاهد سينمائية وجعلت تصدرها لمختلف الأقطار واشترك في إخراجها مئات من الفنّانين والفنّانات .

ومنها : أن علماء المسلمين (إلاّ النادر منهم) قد مرّوا عليها ولم يكتبوا في نقدها كتاباً متداولاً كما ذكرتَ ، مما جعل عامّة الناس يأخذون ما ورد فيها مأخذ التصديق ولا يقبلون لها نقداً .

ومنها : أن موضوع القصيدة وأخواتها هو مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فكل من يتعرض لموضوعها لايسلم من الإتهام في محبته أو في ولائه للرسول الكريم .

ومن ذلك : أن القصيدة مشتملة على حكم ونصائح جيّدة إلى جوار أنها تحفة أدبيّة لغويّة لما فيها من النكت البلاغية وفنون البيان والبديع والمحسنات اللفظية ، ومثالاً لذٰلك البيت القائل :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على

حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ولكن ذلك كلّه لايمنع أي مسلم سليم العقيدة من أن يعترض على بعض ما جاء فيها ممّا يطعن في صحّة التوحيد و يصادم اٰيات القراٰن الكريم ، الأمر الذى حمل بعض المسلمين على اتهام مؤلفها بالزندقة أو بالكفر . وإن كنت أنا لا أرى هذا الرأي .. فقصائد الرجل تفيض بالإخلاص والمحبّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن نقول « أخطأ الرجل » .. فكلنا يخطئ و يصيب وكل انسان يؤخذ من كلامه و يردّ عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وليس أحد من العباد فوق مستوى النقد ، لٰكن المهم أن يكون الحكم على الأشياء مستنداً إلى حجج قويّة من المصدرين الأساسين للمعرفة والأحكام عند المسلمين وهما كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم .

وقبل أن نتعرض للقصيدة ذاتها نحبّ :

أن نذكر شيئاً عن المؤلف والعصر الذي عاش فيه ،
ونقدّم نبذة عن التصوف ،
ثم نذكر بعض المبادئ الأساسيّة في فهم الدين الإسلامي ليكون الوزن في ضوء هذه المعلومات .

تعريف بالشاعر

لقد ولد البوصيرى ٦٠٨هـ (١٢١٢م) أى في عهد الدولة الأيّوبية وإسمه محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي وينسب إلى بلدة «أبوصير» من أعمال بني يوسف بمصر لأن أمّة منها ، وأبوه من بلاد المغرب ــ وكان البوصيري معدوداً من الشعراء المجيدين يعالج فنّ الكتابة والشعر ببلبيس من أعمال محافظة الشرقية .

ومن أشهر قصائده « البردة » التى مطلعها : « أمن تذكر جيرانٍ بذي سلم » والهمزية التى مطلعها « كيف ترقى رقيّك الأنبياء » . ومعارضة قصيدة « بانت سعاد » التى مطلعها « الى متى أنت باللذات مشغول » .

وتوفى المؤلف ٦٩٦هـ الموافق ١٢٩٦م . (أي قبل نحو سبعة قرون) ويتضح من هذه الترجمة الواردة في الكتب المعتمدة أن الرجل كان معدوداً في الشعراء وليس في الفقهاء ولا العلماء ــ كما أن انحداره من عائلة مغربيّة يعطى احتمالاً بأن له ارتباطاً بالفاطميين . شأنه في ذلك

شأن السيد احمد البدوى والشعرانى ، كما أن مصر في هذه الأيام كانت في قمة التأثر بالصوفية واتجاهات العبيديين الفاطميين ، وهذه الفترة من التاريخ الإسلامى كان لها تأثير مهمّ جداً على مصر خاصّة وعلى باقى بلاد الإسلام عامّة إذ كانوا ينقلون دائماً عن مصر و يعتبرونها من أهم مراكز الثقافة الدينيّة .

وقد نجح الأيوبيون في القضاء على الدولة الفاطميّة سياسياً وغيروا منهج الدراسة في المدارس الكبرى ــ ولكنهم لم يستطيعوا أن يقضوا تماماً على الأفكار المسيطرة على أذهان الشعب في مصر وجاراتها بسبب استناد تلك الأفكار إلى عاطفة الحبّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم متمثلاً في آل بيته ــ فقد دأب الفاطميون خلال قرنين من الزمان على تعميق هذه العاطفة في النفوس باعتبارها كانت من الدعائم الرئيسية في تثبيت أقدام الغزاة القادمين من المغرب .

إن الدعوة الفاطميّة ساعدت على انتشار الأفكار الصوفيّة لأنها تخدم أهدافها وتتمشى مع سياستها .. فازدهر التصوف في هذه الفترة ولم يستطع الحكّام الأيوبيون أن يحاربوا الصوفيّة كما حاربوا الفاطميّة ــ بل تظاهروا بأنهم منهم ــ وتقربوا إليهم وكانوا ــ في سبيل كسب عواطف الجماهير يتعمّدون اظهار محبّتهم لهم وتوقيرهم .

نبذة عن التصوف :

وقد يسأل سائل عن الصوفية باعتبارها من الإتجاهات الفكرية والفلسفية أو العبادية في الإسلام .. وهذا بحث طويل لا مجال لإستكماله في هذه العجالة . لكننا نكتفي بإيراد المعلومات الآتية :

أولاً : لم يذكر القرآن الكريم ولا الرسول العظيم ولا أصحابه كلمة التصوف ولم يُعرف أن أحداً منهم سلك مسلك الصوفية المعروف ولم يتحدثوا عن الولايات ولا الكرامات (رغم أن الكرامات قد حدثت للصحابة بالفعل)[1] ـ ولا تلك المعتقدات الشائعة اليوم ـ وعن هؤلاء يؤخذ الدين التطبيقي الحقيقي .

ثانياً : كان التصوف موجوداً قبل الإسلام بآلاف السنين فقد نشأ عند مشركي اليونان باسم (صوفيا) وهي الحكمة وعند مشركي الهنود والصين والفرس وكذلك ظهر في اليهودية والنصرانيّة وهو موجود عند هذه الفرق إلى يومنا هذا وكلمة صوفي موجودة في اللغات الفرنسية والإنجليزية والايطالية .

وكان انتقال هذه النحلة إلى الإسلام في الدولة العبّاسية مع عهد الترجمة والفلسفة الذى أدى إلى اختلاط الفكر الإسلامي مع غيره من الثقافات الوضعية .

---

(١) راجع باب كرامات الأولياء وفضلهم ـ كتاب رياض الصالحين للندوى ـ طبع مؤسسة الرسالة ـ ص ٤١٤ .

ثالثاً : إن الله قد عاب الغلو في الرهبانية بقوله « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رَعَوْها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أَجْرَهم وكثيرٌ منهم فاسقون » [1] فحكم على أغلبية هؤلاء بأنهم من الفاسقين .

رابعاً : إن بعض قدامى الصوفية قد عرفوا بالزندقة واتّهموا بالكفر وحوكموا من أجل ذلك محاكمات شتى انتهت ببعضهم إلى القتل بتهمة الارتداد عن الإسلام بسبب سلوكهم المنحرف وتركهم لفرائض الاسلام، وادعاء بعضهم النبوة والألوهية ، ومقالاتهم الشاذة بأنّهم مطلعون على الغيب أو قولهم أن الله حلّ في أجسامهم أو في أجسام غيرهم أو قولهم أنّهم شفعاء للناس عند الله أو تعظيمهم للكافرين وأديانهم أو تكذيبهم لصريح القرآن إلى غير ذلك ...

خامساً : ولقد أُلّفت كتب كثيرة في صلة التّصوف بالمذاهب الباطنية والرافضة وأنه يتفق معهم في أمور كثيرة كالقول بأن للدين ظاهراً وباطناً ، والغلو في آل البيت وتمجيد بعض القبور، وتقديم النذور والقرابين لها ، والقول بفكرة وراثة العلم والحكم والطريقة ، والقول بتأويل الآيات والأحاديث ، وإخراجها عن المراد منها والانقياد للمشايخ دون مناقشة ، واعتزال الجهاد بالنفس في سبيل الله وإدخال البدع في الدين إلى غير ذلك .

---

(١) سورة الحديد والمعنى :

الرهبانية : هي اعتزال الدنيا لأجل العبادة .

إلا ابتغاء رضوان الله : إلا لتكون وسيلة للعمل الصالح .

فما رعوها حق رعايتها : أي أنهم حولوا الوسيلة إلى غاية وبذلك تركوا العمل النافع الايجابي الذي هو أجدى على المجتمع .

ومن الحق أن نقرر أن بعض الذين اشتهروا بأنهم « صوفية » أو بعض الذين وصفهم التاريخ بهذه الصفة ــ بريئون من هذا الذى ذكرنا « عن الصوفية ــ بوجه عام ، وليسوا على هذه الشاكلة أو لايعلمون شيئاً عن تلك العلاقات ولا علم لهم بذلك التاريخ ، إنما أخذوا منه فكرة الزهد والتقوى والعناية بتربية الروح .

كما أن بعض الزهاد الذين وُصفوا بأنهم « صوفية »[1] قاموا بأدوار محمودة في الجهاد في سبيل الله ،فقد قامت السنوسية بحملات ضارية لمقاومة التبشير النصراني في أفريقية ، وقام الزهاد في الشام بقيادة أحمد ابن تيمية بمقاومة حملات التتار على بلاد الشام ، وقام الزهاد بقيادة صلاح الدين الأيوبي بمقاومة الحرب الصليبية خلال أعوام طويلة في فلسطين ومصر .

وقام اتباع المهدى بمقاومة الإستعمار في السودان . ولا ينكر أحد أن كثيراً من مشايخ الصوفية في أنحاء العالم ــ كانت ولا زالت ــ بيوتهم مفتوحة للغرباء وعابرى السبيل ، وأن لهم هيبة وسمتاً إسلامياً يعين على هداية بعض المنحرفين بل والمجرمين حتى يستقيموا على أمر الله ، وأنهم يوفرون جوّاً من الأخوة في الله بين العابدين المسلمين .

---

(١) نقول : « وصفوا بأنهم صوفية » لأن كثيراً من هؤلاء المجاهدين لم يكن صوفيا بالمعنى الدقيق ــ إنما قبلوا هذه الصفة اما لأنها سمة أهل الخير في ذلك العصر أو ستراً لأنفسهم في خصم الناس أو لأى سبب آخر كما يحدث لبعض الناس في هذا العصر ــ ودليلنا على ذلك مما وقع بينهم وبين الصوفية من الخلاف في زمانهم ، وما ثبت من اعتزال شيوخ الصوفية للجهاد ودعوة أتباعهم لذلك في أقطار ومناسبات لاتحصى عدداً ، ولا يتسع لها هذا المقام .

وهـؤلاء يستحقون منا الحب في الله والتقدير العادل .. إذا لم تبد من أحـدهـم مخالفة أو خرافة .. لكن يؤخذ حتى على المعتدلين : التمسك بهذه التـسـمية التى غلبت عليها الشبهة . كما أنهم يؤاخذون أيضاً لتقصيرهم في تحـقـيـق الـتـوحـيـد الـصحيح وترك الأمر بالمعروف ، وكذا الانقياد التام لمشايخ لاينطبق سلوكهم ولا أفكارهم على أصول الإسلام . وكذا التمسك بنظريات خطيرة خاطئة من ناحية الاعتقاد ــ والله أعلم .

قال الفتى : وما هي المبادئ الأساسية في فهم الإسلام ؟

إن اتّباع المنهج الـصـحـيح للوصول إلى المعرفة يعصم الانسان من الـزلل ــ فـكـم مـن عـابـد قضى عمراً طو يلاً يمارس عبادة غير مقبولة ــ وهـذا الـذي مـن أجـلـه قـال الـرسول صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[1] والمقصود هو العلم الذى يعصم من الإنحراف والضلال .

فمن هذه المبادئ :

أن مـصـدر المـعـرفـة الإسـلامـيـة والأحكام هو النّقل أي الكتاب المنقول إلينا والمسلّم بصحّته ، ثم السنّة الصحيحة ... وحتى الذين قبلوا إضافة (الإجماع والقياس) قيّدوهما بحدود الكتاب والسنة أيضاً .

فـالـبـحـوث الـفلسفية العقلية : ليست مصدراً من مصادر الشريعة ، وإن كان العقل ضرورياً لفهم الأحكام في حدود الكتاب والسنة .

---

(١) رواه ابن ماجه .

والرؤى والأحلام : ليست مصدراً من مصادر الشريعة ـــ لكنها مجرد مبشرات تصدق أحياناً ولا تصدق أحياناً أخرى ، وفيما عدا رؤى الأنبياء فلا يجوز لمسلم أن يبنى عليها عملاً شرعياً .

وآراء العلماء والأئمة والمشايخ : ليست مصدراً من مصادر الشريعة . وإنما يكون وزنها واحترامها بقدر إستنادها إلى الكتاب والسنة .

والتقليد الكامل واتباع الموروثات عن الآباء والمشايخ السابقين ، وكذا الكتب الجديدة والقديمة كلّها ليست حجّية ولا احترام لها إلا بمقدار التزامها بالأخذ من الكتاب والسنة أيضاً .

وظهور الكرامات والبركات وكثرة الصدقات وإتقان العبادات كل ذلك ليس مبرراً لقبول الآراء ـــ وإنما هي أمور تخصّ أصحابها وحدهم وحسابهم عند الله ، ولا شأن لأحد بذلك ولا يجوز أن يتاجر أحد بهذه الظواهر فكل قول نسمعه نسأل معه عن الدليل الشرعي وإلا فمن حقنا أن نرفضه . ومن الناحية الأخرى فكل من يرفض حكم آية من القرآن الكريم أو يخرجها عن معناها العربي يمكن أن يُتَّهم بالكفر[1] ومن لم يكفّره فهو مرتكب إثمـــا كما نصت على ذلك قواعد أصول الفقه استناداً إلى قول الله تعالى « ومن يتولّهم منكم فإنه منهم » ، وكل من يرفض حديثاً ثبتت صحته عن المسلمين بالسند الصحيح فهو كمن كذّب القرآن لقوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، وقوله تعالى « إن الذين يلحدون في آياتنا لا يَخْفَوْن

(١) لايفهم من ذلك أننا حكمنا بكفره ـــ ولكن نقول « يجوز اتهامه إذا ثبت إصراره على تبديل معانى القرآن الكريم » .

علينا »، ومن كذب صريح السنة أو صريح القرآن أو أخرجه بالتأويل الفاسد عن مراد الله به فهو كافر أيضاً.(١)

وإن الله لم يكلفنا أن نمدح النبي بالأشعار والأوراد ولكن أمرنا بالصّلاة والسلام عليه .

قال الفتى : وماذا تقول في آراء كبار العلماء ؟

قلت : إن تعبير « كبار العلماء » والأقطاب والأولياء وأهل الكشف وغيرها ما هي إلا أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ، قال الله تعالى « فلا تُزكّوآ أنفسكم هو أعلم بمن اتقى »(٢) وإن الأميَّ أو الطفل الذي يملك الدليل من الكتاب أو السنة هو الناطق بالحق وإن أوسع الناس

(١) أ ــ ورد في تفسير الكشّاف للزمخشري عن قوله تعالى من سورة طٰه « **يوم ندعو كل أناس بإمامهم** » أي بأمهاتهم ــ اثباتاً لشرف الحسن والحسين ... فاعتبر لفظ «إمام» جمع « أم » وهذا خطأ لغوي غير مقبول .

ب ــ و ورد في تفسير المعتزلة لقوله تعالى « **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة** » فقالوا « إلى » أي نعم وجمعها « آلاء » وناظرة أي واضحة معروفة ــ والمعنى أن نعم الله ظاهرة ــ والسبب في ذلك أنهم ينكرون رؤية الله يوم القيامة .

جـ ــ و ورد في تفسير الاثنا عشرية لقوله تعالى : « **عمَّ يتسآءلون عن النبإ العظيم** » عن علي رضي الله عنه قال : والله ما لله نبأ أعظم منّي ــ أنا والله النبأ العظيم . (تفسير ابراهيم بن فرات الكوفي).

ء ــ و ورد في تفسير قوله تعالى « **ومن لم يحكم بمآ أنزل الله فأُولئك هم الكافِرون** » (المائدة) يقول في « هميان الزاد » وكل مرتكب للذنوب فقد حكم بغير ما أنزل الله ــ وذلك لتأييد عقيدتهم من أن مرتكب الكبيرة كافر مخلّد في النار . فهل تعتقد أيها المسلم أن هذا هو مراد الله من كلامه العزيز ــ وهل هذا التفسير تحتمله لغة العرب ؟!

(٢) سورة النجم آية ٣٢ .

شهرة إذا عارضها يحكم عليه بالجهل أو الضلال ــ مصداق قوله تعالى « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور »[(١)] وقوله تعالى « فإن تنازعتم في شئ فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا »[(٢)] وقوله عليه الصلاة والسلام «ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله »[(٣)].

قال الفتى : أليس احترام المشايخ والعلماء واجباً ؟

قلت : نعم .. ولكن احترامك للشيخ شئ وأخذك الدين عنه شئ آخر يحتاج للتحفظ والتدقيق ــ لأنها الجنة أو النار ــ فقد تحترم والدك ولا تأخذ عنه الفتوى .. وكان عليٌّ رضي الله يقول : أعرف الحق تعرفْ أهله ــ أى أنه لايعرف الحق بالرجال ولكن يعرف الرجال بمدى التزامهم بالحق .

إنك في الصلاة مأمور أن تطيع الإمام فلو مشى في الصلاة تمشى خلفه ولو صلى جالساً تصلى جالساً خلفه ــ ولكن ذلك لايمنعك أن تصحح خطأه وتردّه فوراً عن خطئه .

ثم لا تنس يا أخى ــ أن التقليد دون بصيرة قد ضيع معالم اليهوديّة ، والنصرانيّة ، وضيع كثيراً من معالم الإسلام أيضاً عند كثير من الناس ، فإن كان الشيخ كبيراً عندك فتذكر أن الله أكبر وأن الحق أغلا من الرجال .

---

(١) سورة النور آية ٤٠ .

(٢) سورة النسآء آية ٥٩ .

(٣) رواه الترمذى والدارمي

إن الله عاب قوماً فقال « وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم[(١)] » ومعنى هذا أن حبّ عجلهم الذى عبدوه كان مقدّماً لديهم على معرفة الحق الإلٰهى فلم يستفيدوا بالنصح ـ فأحب شيخك ووقره مادام على الحق ولكن لا تتخذه عجلاً أبداً ..

هذه مبادئ موجزة تحكم الحق والباطل وتحكم أنواع التفكير في دين الإسلام ولو اتبع المسلمون هذه الأوليات السهلة المعلنة مازاغ أحد ... وما ضلّ تابع ولا متبوع ... وعلى ضوء القواعد التى لايختلف عليها مسلم عاقل ندخل في تحليل ما ورد في هذه القصيدة محلّ البحث .

س : ولماذا سمّيت القصيدة بهذا الإسم ؟

أصل التسمية :

قالوا في سبب تسميتها أن المؤلف كان قد أصيب بمرض عضال لم ينفع فيه علاج ـ لكنه كان يكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه في المنام ذات ليلة يغطّيه ببردته الشريفة .. ولما قام الرجل من نومه لم يجد مرضاً ولا ألماً ـ فحصلت له حالة من الإنجذاب والهيام في حبّ الرسول وأنشأ فيه هذه القصيدة (البردة) وغيرها من القصائد التى لا تكاد تخرج عن مضمونها .. ونحن لا نكذّب هذا الخبر فهو جائز الوقوع ـ وقد سمعت ممّن لا أتهم صدقه قال (أنا شخصياً رأيت كأني في طريق مخافة فوجدت رجلاً عليه ثياب بيض فأسرعت

---

(١) سورة البقرة آية ٩٣.

وأمسكت بثوبه وقيل لي هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فلما انتبهت من نومي جعلت أبكي من الهيبة والشوق والاحترام » وكثيراً ما نسمع مثل ذلك ممّن لا يتهمون في صدقهم .. لكننا نقول إنه شئ يبشّر بخير ويخص صاحبه دون سواه ، ولا يعطيه حقاً معيناً ولا ميزة على غيره من الناس ، وطالما سمعنا من أهل العلم والورع « إن على المرء أن يستر كرامته كما يستر عورته » .

ونعود الآن إلى أصل الموضوع ..

تعليق على تصدير الكتاب :

في الصفحات الأولى من كتاب البردة يقول الناشر ما نصه :

« بردة المديح المباركة لمؤلّفها الإمام الكامل »

من الذى قرّر أن القصيدة مباركة ؟ لقد أنشد بعض الصحابة أشعاراً جيّدة بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقل أحد أنّها مباركة .

ومن الذي قرّر أن المؤلف كامل ؟ إن هذا من تزكية العباد على الله .. وقد نهى الله عنها بقوله « ألم تر إلى الذين يزكّون أنفسهم ، بل الله يزكّي من يشاء ولا يظلمون فتيلا ، أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبينا »[1] فسمّى الله كل من يزكي إنساناً على هذا النحو بأنه كذّاب ـ وإنما يقول المرء « أحسبه كذلك ولا أزكى على

(١) سورة النساء أية ٤٩ .

الله أحـداً » ــ وهـو مـصـداق الحديث الصحيح « كل ابن آدم خطّاء ـ وخير الخطّائين التوّابون » .[1]

وعن محمد بن عمرو بن عطاء قال :
سمّـيـت ابـنتي برّة (ومعناها المبرورة المباركة) فقالت لي زينب بنت أبي سلـمـة : إنّ رسـول الله صلى الله عـلـيه وسلم نهى عن هذا الإسم وقال : لا تزكّوا أنفسكم ، فالله أعلم بأهل البِرِّ منكم .
فقالوا : بم نسمّيها ؟ قال (سمّوها زينب) . رواه مسلم في صحيحه .

ثم يقول :

مولاي صلِ وسلم دائماً أبداً   على حبيبك خير الخلق كلهم

و يسرد قصة في سبب وضع هذا البيت من الشعر .. أن الإمام البوصيرى أنـشد القصيدة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في منامه حتى بلغ قوله « فـمـبـلـغ الـعـلـمِ فـيـه أنـه بشر » ثم توقّف فقال له الرسول إقرأ : قال الـبوصيري إنى لم أوفّقَ للشطر الثاني قال له الرسول قل : « وأنه خير خلق الله كلّهم » . فالاعتراض على هذا يأتي من عدّة وجوه :

الأول :   فـهـمنا لقول الله تعالى « ولقد كرَّمنا بني آدم وحملناهم في الـبـرِّ والـبـحـرِ و رزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثيرٍ ممن خـلقنا تفضيلا » . والرسول صلى الله عليه وسلم من ابن آدم . ولم تقل الآية « فضّلناهم على جميع من خلقنا » .

---

(١) رواه مسلم .

الثاني : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[١] ولم يقل أنا سيد العالمين ، وكان ذلك في موقف يحتاج للاستعلاء بالدين الذى ختمت به الرسالات ، لكنّه في أكثرمن موضع قبل ذلك وبعده كره أن نفضّله على الأنبياء والمرسلين وأكّد الأخوة و وحدة الهدف تمشياً مع نصوص القرآن الكريم في مثل قوله تعالى « لا نفرق بين أحد منهم »[٢]وقوله تعالى « ولم يفرّقوا بين أحدهم منهم » .[٣]

الثالث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن مدحه في مواضع كثيرة من أحاديثه الصحيحة ، فمن ذلك قوله ، عن أنس قال : جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال : يا خيرالبريّة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ذاك إبراهيم) رواه مسلم .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا : عبد الله ورسوله) رواه البخارى ومسلم .
أما قوله « لما يروى » ففيه دلالة على ضعف السند بسبب البناء للمجهول .

فمن الذي روى ؟

وقال الناشر : إن الشيخ الفرنوى كان يقرأ القصيدة ليرى النبي صلى الله عليه وسلم فهذا يدلّ على ضعف إدراك الشيخ الفرنوي ــ فرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لا توضع في ميزان الأعمال ، وإن كثيراً من الذين

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة البقرة آية ١٣٦ .
(٣) سورة النساء آية ١٥٢ .

رأوه في حياته ماتوا كفّاراً ومنهم بعض أقربائه صلى الله عليه وسلم ، ثم أن الرسول لايتوصّل لرؤيته في المنام بتلاوة قصائد الشعر وقد أمرنا الله بالصلاة عليه لا بمدحه ولا بتلاوة الأشعار بين يديه .. عن المقداد بن الأسود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب) رواه مسلم .

وقال الناشر أيضاً : « وقد أنشدها البوصيري بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في منامه » .

ما الدليل على صحة هذا الكلام ؟ وهل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل في قبره الشعراء و يستمع إلى قصائد المديح ؟

قال : ثم أن الرسول أكمل له شطر البيت بقوله عن نفسه « وأنه خير خلق الله كلّهم » و واضح أن هذا افتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله تعالى يقول : « وما علّمناه الشعر وما ينبغي له »(١) فلا هو بشاعر ولا بكاهن ولم يقل شعراً في حياته قطّ فضلاً عن أن يقول له بعد أن انتقل إلى جوار ربّه عزوجل .

والآن ندخل إلى أبيات القصيدة ... إنها تبدأ بالبيت المعروف :

أمن تذكر جيرانٍ بذي سلمِ

مزجت دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ ؟

وهذا من أعذب الشعر ومن أكذبه أيضاً .. لأنه يزعم أن مجرد تذكرة

---

(١) سورة يٰس آية ٦٩ .

لهؤلاء الجيران جعل دموعه تنزل مختلطة بالدماء ـ وليته فعل ذلك على المجازر التى حصلت في أيّامه من عدوان الكافرين على حرمات المسلمين، أو من المجاعة التى حصلت للناس في ابان حياته .

وتمضي القصيدة على هذا النحو مشتملة على حكم جيّدة ، بعضها يرتبط بآداب الإسلام كقوله مثلاً :

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على
حبّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

و كقوله :

فخالف النفس والشيطان واعصمهما
وإن هما محضاك النصح فاتّهم

لكنا إذا أتينا إلى صفحة (١٠) نجده يقول :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من
لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ؟

ومعنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن محتاجاً لضرورات المعيشة الدنيوية ، لأن هذه الدنيا لم توجد إلا لأجله هو شخصياً .

وهذا كلام جرئ لايعرفه المسلمون ، ولا يقوم عليه دليل .. فهو عليه الصلاة والسلام محتاج لضرورات الحياة ، وكان يجوع ويتألم ، ويمرض ويصح ، لقوله تعالى : « إنما أنا بشر مثلكم »[١] أي غير مختلف عنكم

(١) سورة الكهف آية ١١٠

في التكوين البشري ، وقوله جلّ في علاه : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق »[1] أما الزعم بأن الدنيا لم تخلق إلا لأجل النبي محمد صلى الله عليه وسلم ـ فهو مناقض للقرآن الكريم حيث يقول : « وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلاّ ليعبدون »[2] ولم يقل إلا لأجل محمد ، إنما خلقت الدنيا وخلق النبي صلى الله عليه وسلم والكائنات لعبادة الله تبارك وتعالى ، قال تعالى «ولله يسجدُ من في السمٰوات والأرضِ طوعاً وكَرْهاً وظِلالُهم بالغُدوِّ والآصالِ »[3] ، ونحن نأسف إذ نجد مسلماً يخترع من عند نفسه هذه المعاني الخطيرة المغلوطة فعن زياد بن حدير قال : « قال لي عمر رضي الله عنه هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال : قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلّين » رواه الدارمي .

ثم قال الشاعر :

محمد سيد الكونين والثقلين
والفريقين من عرب ومن عجمِ

إن الكونين هما السماواتِ والأرضين (فيما نعلم والله أعلم بحقيقة الأكوان) ، وسيد الكونين هو الله عزوجلّ ـ فإن أراد الشاعر أن يكون مؤدباً مع رسول الله فقد أساء الأدب مع الله سبحانه وتعالى ومع رسوله أيضاً ، لأنه خالف هديه الكريم .. فعن مطرف بن عبد الله قال : قال

(١) سورة الفرقان آية ٢٠
(٢) سورة الذاريات آية ٥٦
(٣) سورة الرعد آية ١٥

أبي : « انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا فقال : « السيد الله تبارك وتعالى » . قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً » فقال : « قولوا بقولكم ــ أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان » رواه النسائي ــ فكأنه كره المديح الذى هو أدنى بكثير مما قاله البوصيرى .

قال تعالى « ولله يسجد ما في السمٰوات وما في الأرض من دابّة والملآئكةُ وهم لا يستكبرون،يخافون رَبّهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون »[1]ـ فهل هم يفعلون ما يأمرهم به الله تبارك وتعالى أم ما يأمرهم به النبي ؟ وهل كان الأمر الصادر لملك الموت الذي وكّل بقبض روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم صادراً عن الله أم عن سواه ؟ ... هذا الكلام كلّه من الغلو والمبالغات التى يأباها الله ورسوله والمؤمنون .

ثم يقول :

و كلّهم من رسول الله ملتمس

غرفاً من البحر أو رشفاً من الديمِ

نحن لم نعرف أن النبي ولا أحداً من أهل العلم قال إن الأنبياء والمرسلين التمسوا العلم والفضل من محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما هم ملتمسون ذلك من الله تبارك وتعالى ــ فهو الذي بعثهم وكلّفهم وعلّمهم وزكاهم واصطفاهم ــ ثم ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكلّفه وأدّبه ، وقال سبحانه في ذلك : « هو الذي بَعَثَ في الأميين رسولاً منهم يتلوا

(١) سورة النحل آية ٤٩

عليهم آياتِه .. الآية » ،[١] وعن عبيدة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال : أتقاهم ، فقالوا : ليس عن هذا نسألك قال: فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله ، قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : « فعن معادن العرب تسألوني ؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » رواه البخاري .

بل إن عكس هذا المعنى هو الصحيح ، وهو الذي تهدينا إليه الآيات الكريمة .. فإن الله كلّف محمداً صلى الله عليه وسلم باتباع نهج الأنبياء السابقين في مثل قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة . فإن يكفر بها هؤلآء فقد وكَّلنا قوماً ليسوا بها بكافرين .. أولئك الذين هدى اللهُ فبهداهم اقتده »[٢] أي اقتدِ يا محمد بما هدينا به الأنبياء ، وقوله تعالى : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملةَّ إبراهيم حنيفاً » ،[٣] لكن البوصيري يقول اقتدوا أيها السابقون بهداية محمد صلى الله عليه وسلم فأيها نصدق ؟

ثم تمضي القصيدة فتقول :

و واقفون لديه عند حدّهم

من نقطة العلم أو من شكلة الحكمِ

هذا الوصف ينبغي أن يكون لموقفهم من ربّهم لا من محمد صلى الله عليه وسلم فليته قال ما معناه و واقفون بين يدي الله عند حدّهم ــ أي في

(١) سورة الجمعة آية ٢

(٢) سورة الأنعام آية ٨٩ ، ٩٠

(٣) سورة النحل آية ١٢٣

درجة العبودية للسيد المتعالى ، وليس طبيعياً أن يكون هذا موقفهم من أخيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة . قالوا كيف يا رسول الله ؟ قال « الأنبياء إخوة من علات أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد فليس بيننا نبي » ، وبهذا الأسلوب الأخوي الطيب كان يتحدث رسولنا عن الأنبياء السابقين ، وليس كما وصف البوصيري بتلك الصورة المزرية في حق الأنبياء الكرام .

و يقول :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر   وأنه خير خلق الله كلهم

هذا أيضاً من المجازفة والقول على الله ورسوله بغير علم ، أو هو من الغلو الزائد الذي نهى عنه الرسول الكريم والذي سبق أن بينا وجه الاعتراض عليه .

وفي قوله :

دع ما ادعته النصارى في نبيّهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

هنا نرى الشاعر يناقض نفسه ــ لأنه يأمرنا أن لا نبالغ في وصف الرسول أو نرفعه عن درجة العبودية إلى الألوهية كما ادعت النصارى ،

---

(٩) رواه مسلم .

ولكنه في نفس الوقت يرفع الرسول عن درجة العبودية حتى يجعله مشاركاً لله في سبب وجود العالم وأنه سيّد الكونين والثقلين وأن الدنيا ما خلقت إلاّ لأجله ، فماذا أبقى لله من سلطان في الكون ؟ إن النصارى لم تبلغ بعيسى عليه السلام هذا المبلغ بل ادعوا أنه ابن الله ، ولم يدعوا ما ادعاه البوصيري من مثل هذه المجازفات التي ذكرنا بعضها وسنأتي على باقيها .

يقول :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فإنّما اتّصلت من نوره بهم

ومعنى هذا أن كل الآيات والمعجزات التي جاء بها الأنبياء السابقون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إنما جاءتهم عن طريق اتصالهم بنوره صلى الله عليه وسلم .. وهذا خطأ فادح وتكذيب لنصوص القرآن الكريم ..

أرأيت إلى قول الله تعالى : « وأوحينآ إلى موسى أن ألقِ عصاكَ فإذا هي تلقفُ ما يأفِكون » هل كان إتصال موسى بوحي الله مباشرة أو كان بتوصيلة أخرى من نور محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وبالمناسبة فإن فكرة النور هذه واردة في الفلسفات القديمة حيث يعتقدون أن الروح تنتقل من شخص إلى آخر ــ وقد بنوا عليها فكرة الحلول ــ وتناسخ الأرواح .. أما أن تدعو الله أن يجعل لك نوراً فهذا حسن وقد ورد الأمر به في قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم اجعل في بصري نوراً وفي سمعي نوراً واجعل لى نوراً ... » (الحديث رواه البخاري ومسلم) .

(١) سورة الأعراف آية ١٧٧

ويقول البوصيري أيضاً :

لاطيب يعدل ترباً ضمّ أعظمه   طوبى لمنتشقٍ منه وملتثمِ

أي أن التراب الذي دفنت فيه عظام رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ هذا التراب له رائحة عطرية لا نظير لها ـ والدرجات العالية تكون لمن يستنشق هذا التراب أو يقبّله ـ نقول : على فرض أنَّ هذا صحيح ـ فهل أمرنا الله أو أمرنا الرسول أن نستنشق التراب من عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو أن نقبّل التراب لأي سبب من الأسباب ؟ وهل هناك دليل على شرعية هذا العمل أو أنه نوع من تقديس الجماد الذي هو مدخل للوثنية ؟ ومن الطريف أنني عندما زرت بلاد الهند كنت أجد المدينة الواحدة غاصة بالقباب ـ قباب المعابد فهذا معبد للمشركين والوثنيين وهذا قبر شيخ من المسلمين أقيم عليه مسجد على بعد أمتار من الأول ـ وأشهد لقد رأيت الناس في كلا المعبدين يقومون بأعمال متشابهة ـ فالمشرك هناك يبدأ الزيارة بتقبيل العتبة والتراب الموجود عليها ، ثم يدخل خاشعاً ويطوف بالقبر أو التمثال ثم يدعو ويتضرع ويركع أو يسجد ، ثم يقدم الهدايا للأبقار والقردة أو الماعز الموجودة في الداخل ثم يتراجع بظهره ويقبّل التراب مرّة أخرى ويخرج .. والمسلم يفعل مثل ذلك تماماً ثم يقدم النذر للشيخ ويقبل التراب ثم يتراجع ويخرج ، فهل الشيخ البوصيرى هو الذي نقل عن هؤلاء أم هم الذين تأثروا بقصيدته؟

وهل غابت عن الشيخ شروط زيارة المقابر في دين الإسلام من أنه لايجوز الركوع والسجود إلاّ لله تعالى ، ولا يجوز الطواف إلاّ بالكعبة ، ولا يجوز تقبيل الأرض ، ولا يجوز النذر هناك ، ولا الصلاة ولا الطلب ولا

التمسح ولا تجوز الصلاة في مسجد أقيم على قبربل يهدم الأحدث منها ، في أشهر الأقوال وهل غاب عن « الإمام » كل ذلك أم أن الطريقة التى تلبّست به قد أنسته الفقه أيضاً ؟

وفي صفحة ١٩ من كتاب البردة يقول البوصيري :

أقسمت بالقمر المنشق أن له   من قلبه نسبة مبرورة القسمِ

ومعنى هذا أن الشاعر يقسم بالقمر أن لرسول الله انتساباً يجعله مبرور القسم .. وهو أسلوب فيه غموض لكن الاعتراض على الحلف بالقمر. وهذا مخالف لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول : « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه الترمذي . إن الله يقسم بما شاء على ما يشاء ، ولكنا نحن العباد لانحلف إلا بالله تعالى . عن إبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم »[1]. لأن المحلوف به عادة له صفة العبادة ، ولا معبود بحقّ إلاّالله، فهل يجهل « الإمام » هذه البديهات ؟

وفي صفحة ٢٠ يقول :

ماسا منى الدهر ضيما واستجرت به   إلاّ ونلت جواراً منــه لم يُضمِ

نقول ليس شرطاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل من استجار به يجيره ولا كل من استشفع به يشفع له ــ فالأمر كما قال صلى الله عليه وسلم « اشفعوا تؤجروا و يقضي الله على لسان نبيّه ما أحب » أن الأمر لله وليس للنبيّ صلى الله عليه وسلم .

(١) رواه مسلم

ويقول أيضاً :

ولا التمســت غنى الدارين من يده　　إلاّ استلمت الندى من خير مستلمِ

إنّ غنى الدارين لايلتمس من يد النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يلْتمس من الله تعالى . قال تعالى « وقال ربكم ادعوني استجب لكم»[١] وقال تعالى أيضاً « وإذا سألك عبادى عني فإنى قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ »[٢] وقال تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ...الآية »[٣] ورسول الله لم يعلّمنا أن نسأله ولم يعدنا أن يضمن العطاء لأحد بل الله يقول على لسانه « قل إنّى لآ أملك لكم ضرّاً ولا رشَداً »[٤].

وفي ص ٢٦ يقول :

وقَدّمَتْكَ جميعُ الأنبياء بها　　والرسلُ تقديم مخدوم على خدمِ
وأنت تخترق السبع الطباق بهم ،　　في موكب كنت فيه صاحب العلمِ

والمعنى أنه في ليلة الإسراء قدّمتك الأنبياء جميعاً وهم خدم لك وساروا خلفك في موكب عظيم تخترق بهم السمٰوات السبع تتقدمهم وتحمل الراية أمامهم ، هذه المظاهر لم تحدث بهذا الشكل ـ فكل المسلمين يعلمون أن رسول الله أسرى به إلى بيت المقدس حيث التقى بالأنبياء

(١) سورة غافر : ٦٠
(٢) سورة البقرة : ١٨٦
(٣) سورة يونس : ٣١
(٤) سورة الجن : ٢١

وصلى بهم إماماً ، ثم عُرِجَ به إلى السماء .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما عُرِجَ بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدروهم فقلت : من هؤلآء يا جبريل ؟ قال : هؤلآء الذين يأكلون لحوم الناس و يقعون في أعراضهم[1]. فيتضح من هذا الحديث الشريف أن معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع جبريل عليه السلام وليس معهما الأنبياء .. أما التصريح بأن جميع الأنبياء خدم لنبيّنا محمد فهذا ما لايقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بموجب ما وصل إلينا من أحاديثه الشريفة في مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « نحن معاشر الأنبياء أبناء علاّت أمهاتنا شتى وأبونا واحد »[2] فهو هنا يؤكد الأخوّة معهم وليس السيادة عليهم . و يقول أيضاً : « مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلاّ موضع لبنة في زاو ية من زواياه فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له و يقولون ما أحسنه لولا موضع هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »[3].

فهو هنا يوضح أن دار التوحيد والإسلام بدأ بتشييدها إخوانه عليهم السلام وما هو إلاّ لبنة في هذا البناء الكبير، فكيف جاز للبوصيرى أن يركبه الغلو الشديد حتى يصف الأنبياء بأنّهم خدم والله تعالى يقول : « لا نُفرّقُ بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون »[4].

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة

(٤) سورة البقرة : ١٣٦

ويقول جلّ وعلا : « ثم أوحينآ إليك أن اتبع ملّة ابراهيم حنيفاً ولم يكُ من المشركين »[1]. ولماذا يصرّ الشاعر على الحط من قدر النبيين والمرسلين لكي يقرّر أشياء في إطراء رسولنا — لا فائدة منها للدّعوة بل هي عظيمة الضرر بالنسبة لعالمية الدعوة ؟

قال الفتى :

أيها الأستاذ : إنك تهاجم البوصيرى والرسول يقول « اذكروا محاسن موتاكم » !!

قلت : الحديث صحيح ، ونحن لا نهاجم البوصيرى وإنما نهاجم كل فكر يتعارض مع هدى الله الذى أنزله إلينا حسبما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذا كان الميت قد افضى إلى ربّه دون أن يترك أثراً ضارّاً فلنذكر الخير عنه حتى تبقى الثقة والخيرية في الناس .

أما إذا كان قد ترك مدرسة فكريّة ضارّة أو قدوة سيئة تتبع فلابدّ من التحذير من فكره وعمله ، وذلك واجب لأنه من هداية الناس للحق ، ألا ترى أن القرآن الكريم نعى على فرعون وهامان وأبى لهب — بل إنه أشار إلى ما عوتب فيه الأنبياء أنفسهم — وإن قصص القرآن الكريم تدور حول قضية الحقّ والباطل .

وفي صفحة ٣٤ يقول الشاعر :

فإن لى ذمّة منه بتسميتـــى   محمداً وهو أوفى الخلق بالذممِ

---

(١) سورة النحل : ١٢٣

فما هذه العلاقة الضعيفة التي يتشبث بها الشاعر ؟
فهل صارت له ذمّة عند رسول الله لمجرد أن اسمه مطابق لاسمه صلى الله عليه وسلم ؟

ما أكثر الذين تسمّوا بإسم محمد وهم من العصاة والفسّاق والنبي صلى الله عليه وسلم برئ منهم ، إني أعرف رجلاً في لبنان سمّى إبنه محمداً وهو غير مسلم ومحارب للمسلمين ، فهل له ذمّة عند رسولنا بسبب هذه التسمية أيضاً ؟

فالارتباط بالرسول صلى الله عليه وسلم أساسه الإيمان والعمل الصالح لقوله لفاطمة : « يا فاطمة بنت محمد اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً »[1] .

ثم يقول :

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي
فضلاً وإلاّ فقل يا زلة القدمِ

وفي ذلك يعتمد الرجل اعتماداً كلّياً على غير الله ــ وإلاّ فقد راح في داهية .. حسب اعتقاده وزلّت قدمه إلى النار .

ماذا يقول الإنسان في عقيدة هذا الرجل ــ أتدري ما يوم المعاد ؟ إنه يوم الدين الذي يقول الله في شأنه « وما أدراك ما يوم الدين . يوم لاتملك نفس لنفسٍ شيئاً والأمر يومئذٍ لله » ونحن نقول في اليوم والليلة ١٧ مرّة ــ « مالك يوم الدين .. الآية » .

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .

قال الفتى : إذن أنت تنكر الكرامة والشفاعة ؟

قلت : إن الكرامة حق ولكن على من تحصل له أن يحفظها ولا يتاجر بها على أحد .. وإن الشفاعة حقّ ولكنها مقيدة بأمرين :ـ

الأول : أن يأذن الله للشفيع (وقد لايأذن له) لقوله تعالى « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه »[١].
الثاني : أن يقبل الله الشفاعة أولاً يقبلها لقوله تعالى « ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون »[٢].
لذلك لا يجوز لمسلم أن يتهاون في أمر الله اعتماداً على موضوع الشفاعة .

عن الحسن قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليرفعنّ لي ناس من أصحابي حتى إذا عاينتهم و رأوني اختلجوا دوني فلأقولنّ: يا ربّ أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » . أخرجه البخاري . ومعنى أصحابي هنا أي أتباع دين الإسلام ـ وفي رواية « فأقول ألا سحقاً سحقاً » . وكان رسول الله في حياته يرفض الشفاعة في حدود الله ـ وإن جاءت من عزيز لديه .

عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلّم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه غير أسامة حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فكلّمه أسامة فقال : (أتشفع في حدّ من حدود الله ؟) ثم قام فخطب : (أيها الناس

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(٢) سورة الأنبياء آية ٢٨ .

إنما هلك الذين من قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحدّ ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) أخرجه مسلم .

هذه أيها الإخوة هي المقاييس الصحيحة للإعتقاد الحقّ ، وهذه هي ضوابط المسئولية والجزاء وليست مقاييس المغالين .

ويمضي البوصيري في ص ٣٥ في هذا الطريق فيقول :

يا أكرم الخلق ما لى من ألوذبه　　　سواك عند حلولِ الحادثِ العممِ

فنقول له إن اللياذ يكون بالله ربّ العالمين ــ الذي يقول عند ما يحل الحادث العمم : لمن الملك اليوم ؟ .... « لله الواحد القهّار » . ألم يقرأ هذا الشاعر قوله تعالى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « قل إنى لن يُجيرَني من الله ِ أحداً ولن أجد من دونه ملتحداً إلاّ بلاغاً من الله ِ ورسالا تِهِ »(١).
إن اللوذ والإستغاثة تكون بالله دون سواه .

و يقول في نفس الصفحة :

فإن من جودك الدنيا وضرتها　　　ومن علومك علم اللوح والقلمِ

أي أن الدنيا وضرتها الأخرة كلتاها حصلتا من جودك يا محمد ، وإن علم اللوح وعلم القلم هما من بعض علومك يا محمد (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) هل سمعتم عدواناً على مقام الله أكبر من هذا ؟ إن الدنيا والأخرة من جود الله سبحانه وفضله ، قال الله تعالى : « ليس لك من

(١) سورة الجن أية ٢٢

الأمر شئ »[1]. وقال تعالى : « إن كل من في السماوات والأرض إلاّ آتى الرحمٰن عبدا »[2]. وقال تعالى : « الذي خلق الموت والحياة ليبلُوَكُمْ أيّكم أحسنُ عملا »[3] وقال تعالى « وما خلقت الجنَّ والإنس إلاّ لِيعبدون »[4].

وقال تعالى : « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظنُّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار »[5] ــ فالجزم بأن خلق الدنيا والآخرة كان من جود محمد صلى الله عليه وسلم أو لأجله أمر لايحتمل .. لأنه مناقض تماماً لآيات الكتاب الكريم ، وكذلك قوله أن علم اللوح والقلم من علومك ــ هذا يناقض قول الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول »[6] وقوله تعالى « ولا يحيطون بشئ من علمه إلاّ بما شاء »[7] أي أن علم الله عظيم جداً وقد يسمح ببعضه لمن يشاء .. وقوله تعالى « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله »[8] وقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرتُ من الخير وما مسّنِيَ السوء »[9] وقوله تعالى «قل لايعلم من في السمٰوات والأرض الغيب إلاّ الله »[10]. وقوله تعالى « قل لآ أقول لكم عندى خزآئن الله ولآ أعلم الغيب .. الآية » .

(١) سورة آل عمران آية ١٢٨
(٢) سورة مريم آية ٩٣
(٣) سورة الملك آية ٢
(٤) سورة الذاريات آية ٥٦
(٥) سورة ص آية ٢٧
(٦) سورة الجنّ آية ٢٦
(٧) سورة البقرة آية ٢٥٥
(٨) سورة لقمان آية ٢٧
(٩) سورة الأعراف آية ١٨٨
(١٠) سورة النمل آية ٦٥
(١١) سورة الأنعام آية ٥٠

وقد ابتلى رسول الله في نفسه وأهله في حادث الإفك ، ابتلى كإنسان وكنبي وظلّ يسأل الشهود . واستمرت المحنة عليه وعلى المسلمين قرابة أربعين يوماً حتى نزل الوحي ببراءة زوجته ـ ولو كان يعلم علم اللوح والقلم ماتعرّض لمثل ذلك .

أيها المسلمون : لاندري لماذا يقوم كل يوم رجل علينا بنغمة جديدة أو بصوتٍ يطلقه في دار الإسلام ليضلّ الناس بعلم أوبغير علم .. ولمصلحة من هذا ؟ أعتقد أنه لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّاً لعاقب من يقول بهذا الكلام . فعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ) متفق عليه .

وفي ص ٣٦ يقول :ـ

لعل رحمة ربّي حين يقسمها   تأتي على حسب العصيان في القسمِ

يقول الشاعر :ـ ربّما تجري قسمة الرحمة الإلٰهية يوم القيامة على حسب العصيان ـ فمن كانت معاصيه أكثر تناله رحمات أكثر ومن كانت معاصيه قليلة تناله رحمات قليلة ، فكأنه يطمئن كبار المجرمين في العالم ويقول بشراكم يا أيّها القتلة والمشركون فمن المحتمل أن يختصّكم الله بأكبر قدر من الرحمة ، أو بما هو أكثر مما يخصّ به الطائعين العابدين ـ فهل هذا هو مقتضى العدل الإلٰهي عند البوصيري ؟ أم هو مقياس معكوس ؟ أيريد أن يقنعنا أن الذي بقي أربعين سنة قانتاً لله يقول بعد كلّ صلاة (اللّهم ارحمنا فإنك بنا راحم) سوف يحرم من رحمة الله ـ ويعطاها الذي لم يسجد لله سجدة ؟ ويكفي أن هذا الكلام الخاطئ يناقض قوله تعالى « فأما من طغٰى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم

هـي المأوىٰ . وأما من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنّة هي المأوىٰ »[1] وقوله تعالى « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره »[2] ويقول أيضاً : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون »[3].

ثم تمضي القصيدة فيقول الشاعر :

بجاه من بيته في طيبة حرم   واسمه قسم من أعظم القسمِ

والمعنى أن الرجل يقسم بجاه النبي صلى الله عليه وسلم الذي بيته في المدينة هو الحرم وأن اسمه قسم من أعظم الإيمان على الله ــ وهذا خطأ كما أشرنا إليه آنفاً فالحرم الذي في المدينة هو المسجد وليس البيت ــ وإن اسم النبي لايصلح أن يكون قسماً وإنما القسم يكون باسم الله تعالى .

وفي قصيدة أخرى سمّاها المحمّدية يقول :

محمّد زينة الدنيا وبهجتها   محمّد كاشف الغمّات والظلّمِ

ونقول أيضاً .. إن محمداً لا يستطيع أن يكشف الغمّات في حياته أو بعد مماته ــ إنما الذي يملك ذلك هو الله عزّوجلّ وقد تعرض صلى الله عليه وسلم لأنواع من الغمّات والظلم وكان يسأل الله أن يكشفها عنه فأحياناً يعينه الله فيكشفها عنه ، وأحياناً ينزل القدر والقضاء والبلاء به وبأصحابه كما هي سنة الله في خلقه ... وحتى في مرض موته كانت

---

(١) سورة النازعات آية ٣٧

(٢) سورة الزلزلة آية ٧

(٣) سورة القلم آية ٣٥ .

فاطمة تكشف عن وجهه الشريف وتقول : وا كرب أبتاه .. فلم يستطع أن يكشف عن نفسه كرب المرض ... وكان يقول :

« إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم » .

والمسلم لاينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه زينة أو بهجة ، وإنما على أنه رسول أنزل الله عليه رسالة عظيمة وقولاً ثقيلاً يجب أن يحترم ويطاع .

الفنون الأصيلة :

إننا بصدد رسالة تؤخذ بقوة لا بصدد فنون جميلة ومما يؤسف له أن عامّة الناس (وبعض الغافلين من أهل العلم) تخدعه الفنون الجميلة عن الفنون الأصيلة ــ ويسير وراء السجع أو الطرب أو الجمال بفروعه المختلفة إلى أن ينسى حقائق الدين الواضحة .

لقد حدث أن ناقشت أحد المسلمين فيما تضمنته هذه القصيدة من مخالفات شأنها في ذلك شأن كثير من القصائد التى يرسلها الغافلون و يتغنى بها أهل الفنون .. فقال : هل تعترض على من يمدح رسول الله ؟ قلت : نعم .. إذا كان هذا المدح مخالفاً لتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. واتفق أن حضرتُ مناقشة بين أحد الدعاة وبين شيخ معروف كان يشغل وظيفة وزير الأوقاف في بعض البلاد العربية .

قال الشيخ :

إن وفاة السيدة أم كلثوم تعتبر خسارة كبيرة على الأمة العربية

فلطالما أسعدت الجماهير بصوتها العذب وأغانيها الرائعة .

قال الداعية :

لايخفى على فضيلتكم أن صوت المرأة عورة وأن الاستماع إلى القينات والمغنّيات أمر لايحلّ للرجل المسلم .

قال الشيخ :

نعم ولٰكني والله أتأثر كثيراً وتتأثر الملايين معي عندما أسمع منها قصيدة نهج البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الداعية :

ترى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيّاً ــ هل كان يسمح لهذه المغنّية أن تمدح في ذلك الملأ بهذا الصوت وتلك الملابس أمام الرجال ؟

قال الشيخ :

دعنا من هذا الجدال ــ وانتفض قائماً .

قال الفتى :

وإذا أراد إنسان أن يستبعد الأبيات محلّ الاعتراض فهل له أن ينتفع بما بقي من قصيدة البوصيري ؟

قلت :

نعم .. فالخير هو هدف الإسلام .

أيها المسلم الكريم :

نحن لم نتهم سريرة أحد وليس لنا إلاّ ما ظهر ــ وأنت يا أخي لا تتهم سريرة إخوانك فوالله ما كتبنا حرفاً من هذه الرسالة إلاّ حُبّاً لله وحُبّاً لرسوله صلى الله عليه وسلم ودفاعاً عن سنّته وهديه ، فإن رأيت في قولنا غير الحقّ فأرشدنا إليه ، يرحمك الله .

واستمع إلى قول الله تعالى لكلّ أتباع الرسالات « يآ أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلاّ الحقّ » .

ونحن نقول : جزى الله كلّ الكاتبين والقراء عن حبّهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ــ ولكنا لانقر أحداً على العدوان على مقام الألوهية ــ أو إضفاء شئ من الأسماء والصفات الإلٰهيّة على غير الله سبحانه وتعالى ، وعند ذلك نقف في وجوههم ونرفع الصوت بقوله تعالى «وأنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له » ونقول للذين يزعمون الدفاع عن مقام الرسول « إننا ندافع عن مقام الله أولاً ومقام رسوله صلى الله عليه وسلم أيضاً » .

نسأل الله أن يهدينا جميعاً سَواء السبيل ، وأن يؤلف بين قلوب المسلمين وصلى الله على سيّدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

الفقير إليه تعالى

عبد البديع صقر

تمّ في دبي بتاريخ :

٥ ذى القعدة ١٤٠٣ هـ

١٣/٨/١٩٨٣ م


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com